

رسالة من الريحاني

بقلم خليل الهذلي

الجزيرة
عدد ١٢٧
في حزيران

عزيزي خليل الهذلي حفظ الله

قد سرني ما نزلت به من حفيظة ملاح . وقد كنت ظننت أنك لن تزال في الأيام
الاول من ربيع الشباب . والشباب ايام العزم وبيع تستغرب في الكتابة .
انطفئ الوردة اليبس باسما ، واذا وصيت يدك نلوت عجب ولا تبت . سكن
شجانا ، وارتفعت نظر الناس من الوردة اليك . متن تعجبك
على العز فليل ان تسترسن الى العلوطف كرمش بعدا عن الشايف
والكاتبه والابن . ان في اولنا العربية بحالته من الروع سحرنا
عندنا من الغر واليهوك . فانحوت ان تنسى نفسك في ما كتب
ولا تنظر الى شخصيتك كما انها كل شئ او اهم في الكون الاكبر . ان
يجمع الشري باضليل مجيخ شجومات انت منها حافظ في شخصيتك على
الذي باجرته وسكونه الرزق والسفوف العمور ومع الموقد يفتنون مناهم .
اما لدا اهبت ان تغلنا جنازة في اجازات التي تسمى اعبادا فلهذا
دورنا ان نحرق الروحمان ونولل كاهن النذابات .
هذه نجيحة من استتجته وهو يرك فيك غرس ذكاه وطيب
بشبر اذا هذب وشذب ثارا طيبة والمنفصل ان

بمعين
المفاتيح
« ربيع العيد »

ش. و. ا. ه. ه.
الريحاني

المجلات ، لتلقي فيها مع الريحاني فكرا ، وجوهرا ، واسلوبا .
ومما ورد في رسالتها الي :

« كاتبة الشباب هي حلم من احلام الشاعر تنزل عليه في ساعات
الوحدة ، فتصور له الاماني سرايا . وما اخرى الصبا ان يكون مسرح
الطرب والانس ، وان تتحول فيه اشباح الكتابة الى زهو ، يرغم الدهر
على الابتسام ، فان سكب الدموع اذا لم يكن سببا للضعف وحده فيكفيه
ان يكون حجة للدهر علينا تزيد في نغمته منا ، وانتصار قواه على
ضعفنا ... »

دعاني الى هذا الكلام ما لقيته في رسالتك الاولى من كاتبك
العزينة التي يؤمني ان اراها تنهش قلب الشباب بانباها الحادة ، كما
انني لا ارى لنا نهوضا اذا لم تنقلب على كل ضعف ، وتبتسم حتى
للمصاعب ! »

ومصدر الغرابة فيها لا كما يعزو شيوخ الادب الذين يسوء ظنهم
في الادب الحاضر لجرد خروجه عن العمود المعروف ، وضربه للقواعد ،

هذه رسالة - على تطاول عهدها لا تزال جديدة في تحديدها مفهوم
الادب الصحيح ، لان الريحاني كان واسع المدى في نظره الى الادب .
فهو يوجه الخطاب الي ، حين كنت فتى يدرج الى عالم الادب
بخطى وثيدة ، مترجحة ، تعمل فيه مؤثرات مختلفة ، متقاربة ، مما كان
ينحدر اليه من الادب العربي الحديث الذي كان طافحا بالشكوى والمرارة .
- وادب الشكوى والابن كان ينغم عليه الريحاني ويجد فيه جنورا
منخورة ، لا يثبت عليها الا الضعف والهوان - ومما كان يقتبسه من
الادب القديم الذي لم يكن نصيبه من الابن اقل من نصيب الادب الجديد ،
ومن الادب القوي الذي كان ينصب علينا بمقدار .

ولذلك ، وجد من حقه ان يوجه الشباب الى المعاني التي ينبغي
ان يستوحى منها الشباب ، واذا كان الشباب هو زهر العمر ، وصميم
الحياة فلماذا نلغها بالكتابة ، والنمزق والضياع ؟

ومن عجيب المصادفات ان اتلقى رسالة من الاديبة السيدة « ماري
يني » صاحبة مجلة « منيرفا » التي كانت الرائدة الاولى في عالم

واستخفافه بالمصطلحات اللغوية ، لان لهذا سائنا اخر لست ابالي به .
ولكن منشأ الغرابة عندي هو اعمق واخطر .

لقد كنا في الحدائث نكثر من الادب الباكي ، والشدو الحزين ، لان كل ما كان حولنا يشعرونا باننا في ماتم .. ومع ذلك كان شيوينا المفكرون يتكرونا علينا هذا البكاء ، ويدعوننا الى روح المقاومة والعنف ، لان البكاء استسلام وخزي ، والمقاومة هي من صميم الحياة .

واليوم ، ينصرف ادباؤنا الشباب عن البكاء ، لا لان الدمع تجمد في عيونهم ، ولكن ... لان دوافع اخرى تجذبهم الى هاوية اعمق !
لست ادري مرد شيوع افكار التمزق والضياح والقلق في ادبنا اليوم ، في شعره ونثره . واكثر ما يشيخ هذا الضرب من الافكار في ادباء الشباب الذين باتوا يتحدثون عن هذا الضياح كحقيقة لا بد منها! (لا بد لمن يجد نفسه ان يضيها !

لا بد لمن يولد ان يتمزق !

لا بد لمن يريد الاستقرار ان يقلق اولاً))

خواطر جدية ، وصور مغرية ... ولكن من اين تأتي هذه الخواطر؟ هل نحن نستمدنها من اعماق اعماق نفوسنا ؟ هل نحن نستوحياها من الواقع الذي نحياها ؟ لا .. والف لا !

انها خواطر يدفنا اليها التقليد ، والتبعية لادب جنيناه من غير ارضنا ، وغير روحنا ، له عوامله الخاصة ، ومجتمعها الخاص . فلماذا نترك ارواجنا وافكارنا تنجرف به انجرافا اعمى .

نحن الذين لم نولد بعد ... لماذا نعمل المشارط في هذا الجنين قبل ان يخرج الى الوجود ؟

نحن الذين لا نتحسس وجودنا بثقة وتصميم ، لماذا نفتش عن مناهات القلق ، وندفن انفسنا فيها ؟

اولئك يحيون في مجتمع قلق ، معقد ، شلته الحضارة الحديثة المادية ، فلماذا نحمل انفسنا باطلافا الى ذلك المجتمع ؟

الشباب يدوب تحت مطارق التمزق والقلق بيننا نحن في سبيل بناء مجتمع جديد متفتح ، وتشكيل شخصية واضحة الملامح ، مؤمنة بنفسها .

لقد كنا في الضياح ، فهل نفتش عن ضياح اخر اقسى ؟ وامد

ابعادا في عالم الوهم ؟

لقد كنا في تمزق ، فهل نبحت عن تمزق اخر ؟

اننا لم نفكر حتى الان تفكيرنا الذاتي ، ولم نجد انفسنا ، فكيف نفكر في الضياح ؟

لتؤلد اولاً ! لتتفتح ! لتشعر بشخصيتنا وكياننا ، لان التمزق ، مجرد التمزق ، ليس هو الغاية .

لذلك ، رايت لزاما علي ، ان انشر هذه الرسالة الكريمة ، وارجع الامانة الغالية الى اصحابها الشباب لتكون متجها جديدا لهم ، يفيدون منها ما اخذناه في ذلك الحين .

وانطلاقا من هذه الغاية يحدد الريحاني (مذهب الادبي) واضحا ، ويفضي به الى الشباب الادباء ... حيث نراه يدعو الى :

١ - البعد عن الكتابة المتفعلة ، وفي حال وجودها الحقيقي يجب مقاومتها .

٢ - والتمسك بالفكر دون الاسترسال الى العواطف .

٣ - والبعد عن تكلف الالين ، وذرف الدموع الكاذبة التي اغرقت ادبنا العربية .

٤ - والتخلص من قيود الذاتية الضيقة ، والانطلاق من عالم الذات الى العالم الذي هو (الذات الكبرى) ، دون ان يجعل الاديب ذاته محور الكون . وما الاديب الا شخصية تحيا مع شخصيات تماثلها .

٥ - والحرص - في التعبير - على الصدق والحرية وسلامة اللوق والعقل والشعور .

٦ - عدم الاحتفال بمن ماتت نفوسهم ، لان الادب الصحيح موضوعه الحياة ، والاحياء . اما الاموات فليدفعهم الاموات انفسهم . وامسا الفجائع في الحياة فليكن تصويرها تصويرا واقعيلا دون نذب وتفجع ، لان ذلك اصدق وقعا في النفس .

وبعد ، فهل كان الريحاني امينا لهذا المذهب الذي لخصه في هذه الرسالة الصغيرة ؟ واذا لم يكن الريحاني صادقا امينا لمذهبه ، فكيف كتب ، اذا ، فصوله ؟

ان الريحاني يبدو كأنه يدين بالالتزام .. فهو يلتفت الى ان واجبه الاول ان يظل من نافذته ، لا ليري ذاته ، بل ليري هذه المجموعة من الناس ، وهو واحد منها ، دون ان ينطوي على نفسه، ويقضم اذنيه ، ويقضم عينيه عما يراه في امته ، ومجتمعها ، وانسانيته !

ومجتمعنا - عند الريحاني - مجتمع مريض ، انهكته امراض مختلفة ، منها امراض توارثها عبر العصور ... عصور الجهل والنل والتعصب .. ومنها امراض حديثة تمشت في جسده . وليس كالاديب من يكشف عن هذه الامراض ، ويكافحها ، ويعمل على تنقية الجسد الاجتماعي منها . ولهذا نهج الريحاني في ادبه نهجا اختطه لنفسه ، ليطلع على غيره ، ولم تفتنه تلك الزخارف الزائفة ، ولم تمنعه عواطفه عن ان يسعى الى الحقيقة بعقله ! لان المجتمع المتين لا يبني - عنده - على العواطف ، والاحاسيس التي تطفو لحظة ، ثم تغيب .

والريحاني - في صميم احساسه - عاني الالم ، وتقلب على الالم ، ولم يدعه يربض في قلبه . وريحانياته الاولى مثل لانشاء العقل الذي يلجم العاطفة . ومثل للصراحة التي تضيق بالجمالة ... وقد عرض لمشاكل كثيرة ، وعالج افات اجتماعية خطيرة ، دون ان يعالجها بروح اليأس والتأفف والكتابة . وهو ، وان اطلق افكاره بشعوره النفسي فانه لم يسمح لهذا الشعور ان يطفئ ، بل كان جامعا لدوافع العاطفة ، وورصانة الفكر .

وكان ، بعد ذلك ، في مقالاته مثال الصدق الذي لم يخن فيه عقيدته ، ومثال الحرص على ابداء ارائه بحرية جريئة ، وان خالف فيها الكثير من المعتقدات والموروثات والاهواء .

وما دام الريحاني يدعو في جوهر الادب الى ان يمثل القسوة والمتانة فان من المسلم به ان يختار له هذا الاسلوب البسيط الذي يتمثل فيه الصدق والحرية وسلامة اللوق ، والعقل والشعور .

وكان ، بعد ذلك ، في مقالاته مثال الصدق الذي لم يخن فيه عقيدته ، ومثال الحرص على ابداء ارائه بحرية جريئة ، وان خالف فيها الكثير من المعتقدات والموروثات والاهواء .

وما دام الريحاني يدعو في جوهر الادب الى ان يمثل القسوة والمتانة فان من المسلم به ان يختار له هذا الاسلوب البسيط الذي يتمثل فيه الصدق والحرية وسلامة اللوق ، والعقل والشعور .

وكان ، بعد ذلك ، في مقالاته مثال الصدق الذي لم يخن فيه عقيدته ، ومثال الحرص على ابداء ارائه بحرية جريئة ، وان خالف فيها الكثير من المعتقدات والموروثات والاهواء .

وما دام الريحاني يدعو في جوهر الادب الى ان يمثل القسوة والمتانة فان من المسلم به ان يختار له هذا الاسلوب البسيط الذي يتمثل فيه الصدق والحرية وسلامة اللوق ، والعقل والشعور .

وكان ، بعد ذلك ، في مقالاته مثال الصدق الذي لم يخن فيه عقيدته ، ومثال الحرص على ابداء ارائه بحرية جريئة ، وان خالف فيها الكثير من المعتقدات والموروثات والاهواء .

وما دام الريحاني يدعو في جوهر الادب الى ان يمثل القسوة والمتانة فان من المسلم به ان يختار له هذا الاسلوب البسيط الذي يتمثل فيه الصدق والحرية وسلامة اللوق ، والعقل والشعور .

وكان ، بعد ذلك ، في مقالاته مثال الصدق الذي لم يخن فيه عقيدته ، ومثال الحرص على ابداء ارائه بحرية جريئة ، وان خالف فيها الكثير من المعتقدات والموروثات والاهواء .

وما دام الريحاني يدعو في جوهر الادب الى ان يمثل القسوة والمتانة فان من المسلم به ان يختار له هذا الاسلوب البسيط الذي يتمثل فيه الصدق والحرية وسلامة اللوق ، والعقل والشعور .

وكان ، بعد ذلك ، في مقالاته مثال الصدق الذي لم يخن فيه عقيدته ، ومثال الحرص على ابداء ارائه بحرية جريئة ، وان خالف فيها الكثير من المعتقدات والموروثات والاهواء .

خليل الهنداوي

صدر حديثا :

ثورة الفقراء

بقلم رجاء النقاش

ثورة الجزائر المظفرة التي وصفها الرئيس بن بيللا بأنها « ثورة الفقراء » .

منشورات

طبعة جديدة

دار الاداب

التمن ليرتان لبنانينان